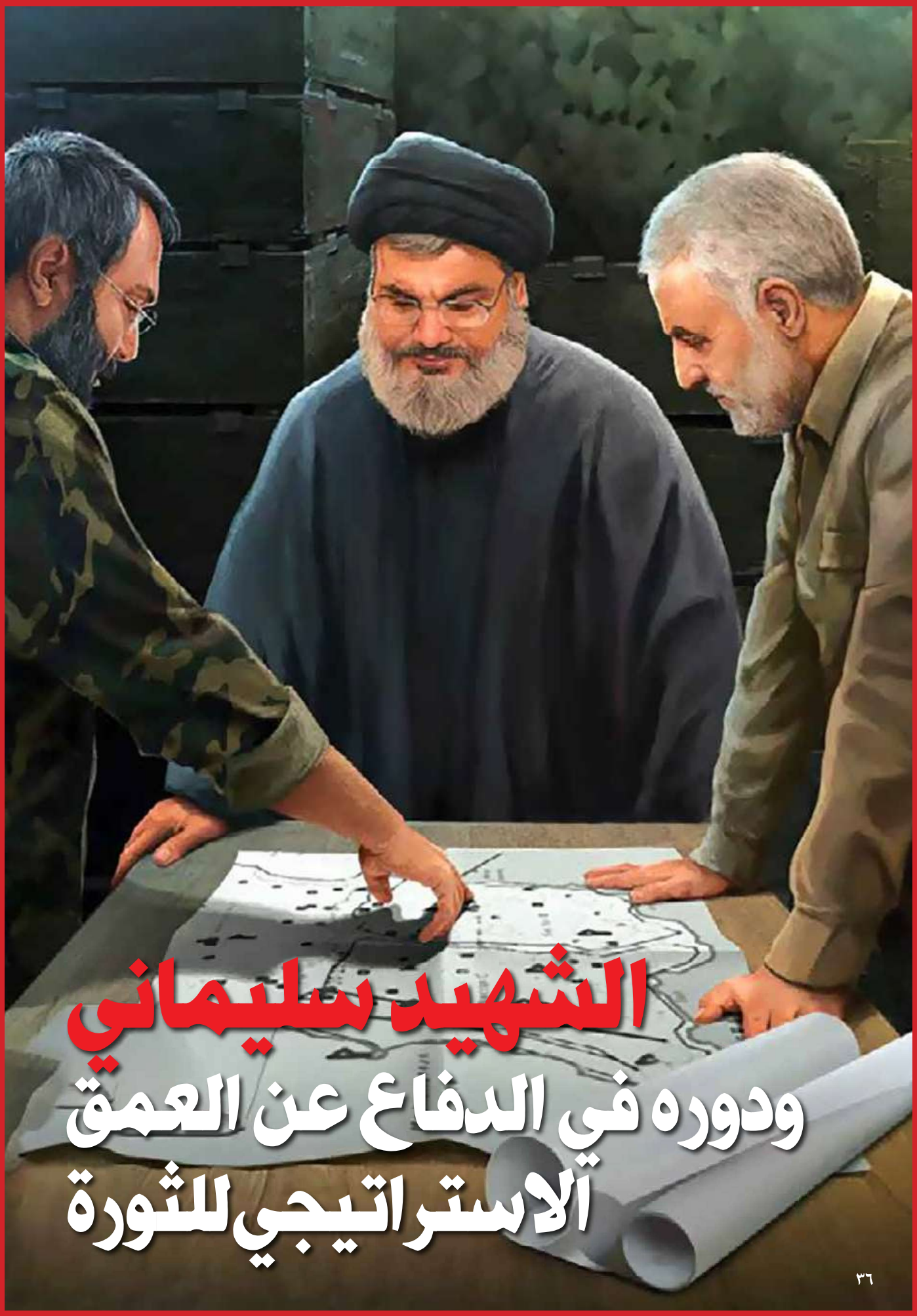

الشهيد سليماني
ودوره في الدفاع عن العمق الاستراتيجي للثورة

■ **بقلم الشيخ توفيق حسن علوية :كاتب وباحث من لبنان**

من كتم العدم الى حيز الوجود يخرج الناس بمشيئة الهية ، فمنهم من يعيش على وجه البسيطة ويرحل وكأنه لم يكن ، ومنهم من يعيش ويقتصر تاثيره على دوائر خاصة ويرحل ، ومنهم من يكون انسانا كونيا عالميا قد عرفت الكرة الارضية انه سيطوي ايامها بتاثير بالغ قبل ان تطويه ، من هؤلاء بلا اي تردد الحاج قاسم سليماني ، فالحاج قاسم سليماني تعدى تاثيره نفسه منذ ايامه الاولى ولم يكن يوما خاصا بل كان عاما على نحو الاستدامة ، والا فلن يقنعنا احد ان شخصا بقامته الجسدية ومحدوديته في عالم الامكان التكويني المادي قد اخذ كل هذا المدى وصار له كل هذا الصدى من دون ان يكون متعديا من اول النشأة والترعرع الى حين الارتحال والترفع ؟!

فما هو سر قاسم سليماني اذن ؟ وما هي المميزات التي جعلته متميزا عن الكثير من اقرانه وابناء جلدته وابناء بجدته يا ترى ؟.

لا يمكن لنا ان نتحدث عن سر واحد لان كمون الاسرار في شخصية هذا المعطاء امر محتم ، وما ظهر من شخصيته وما سبظهر مع تقادم الايام وكرور الاعوام قليل جدا ، لكننا نحاول في هذه العجالة شد الرحال الى قبس من شخصية هذا المعطاء وسبر غور بعض من جوانب دوره المكلل بالنجاح بل ادواره المكللة بالنجاح ، ولكن قبل ذلك لا بد من الوقوف عند نقطتين غاية في الاهمية وهي:

النقطة الاولى : ان الشخصية عبارة عن ذات ودور ، الشخصية لها عظمة والدور له عظمة ، الشخصية لها انعكاساتها على ما ومن حولها والدور له انعكاساته على ما ومن حول صاحب الدور ومع كل المتفاعلين مع هذا الدور ، احيانا يكون الدور اكبر من الشخصية ، وذلك لان الدور المسند للشخصية يكون اكبر من صاحب الشخصية ، فهنا لا تكون المؤهلات والقابليات واللياقات عند صاحب هذه الشخصية جديرة بأن تضطلع بدور هو اكبر منها ، وهذا نشهده في غير واحد في الحياة ، وبعض الشخصيات التاريخية او الحاضرة تصل الى مرحلة تقول فيها : الدور اكبر مني . الدور اعظم مني . انا لا اطيق لعب هذا الدور . وبعضهم يبكي امام سجانه حينما يسجن او امام قاتله حينما يراد اعدامه ويتضرع ويستجدي حياته بمفعول رجعي قوامه : انا اخذت دورا اكبر مني.

هناك بعض الشخصيات يكون الدور موازيا ومساويا لها ، فهي شخصيات تواجدت في هذه الحياة فقط لتقوم بدور مواز ومساو لشخصيتها ، فتلعب هذا الدور وتؤديه حق التأدية وتوفيه حق التوفية وترحل ، فيذكر التاريخ او الحاضر او المستقبل الآتي ان فلانا قام بهذا الدور ، ويتسجل الدور باسمه عينا بعين ، وهناك شواهد كثيرة على ذلك بما لا مزيد عليه ، الامر الجدير بالاهتمام هنا ان هناك شخصيات تكون اعظم من ادوارها ، والادوار الشتى والمتعددة لا تحكي الا عن جزء من الشخصية لا عن كل الشخصية ، في احيان كثيرة تكون الشخصية مكتنفة للكثير من المزايا الاقتدراية الهدارة ومكتنزة للوفير من الصفات العمالة والعلامة الا ان ظرف بروز هذه المكامن في الشخصية لم يسمح بظهورها ، وعندما يضطلع صاحب هذه الشخصية بدور ما او بادوار فإنه يبهرنا بنجاحاته وبانجازاته الا اننا مع ذلك نفهم بوعي وبصيرة بان قدرات هذه الشخصية ومميزاتها تشتمل على لياقات ومؤهلات وقدرات وكفايات اعظم واكبر من الادوار التي لعبتها ، وان الادوار التي لعبتها هذه الشخصية لم تحك الا عن جزء من هذه الشخصية لا عن كل هذه الشخصية .والقائد الحاج قاسم سليماني من هذا الطراز ، من طراز الشخصية التي هي اكبر من دورها بل اكبر من ادوارها ، وما تكتنزه هذه الشخصية وما تكتنفه مكامن اعظم بكثير مما ظهر ، وانما ما ظهر كله لا يعدو كونه ملحظا من ملاحظ هذه الشخصية وملمحا عنها.

النقطة الثانية: ان الشخصية لا يتم توفية حقها كلا او بعضا حال المعاصرة ولا حال ما بعد المعاصرة ، وانما يحتاج الباحث لتوفية الشخصية بعضا من حقها اثناء الحديث عنها الى الابتعاد الزمني عن عصر الشخصية المبحوث عنها ، فابعاد الشخصية تحتاج الى تماد في الزمن للحديث عنها بطريقة كافية ووافية من ناحية الباحث ، وقد رأينا نحن على سبيل المثال ان الافلام السينمائية او المسلسلات اذا رامت الحديث عن شخصية معاصرة فإن الكثير من الاعتراضات تكون حاضرة بقوة عند الكثير من معاريف هذه الشخصية وانسابها واسبابها واحبابها ومن كان قريبا منها ، وذلك لان رؤية الشخصية مع المعاصرة لا تكون عادلة ، ولذلك تحتاج الشخصية المبحوث عنها الى تصرم فترة زمنية تكون صالحة للحديث عن هذه الشخصية او تلك . والان ناتي الى جواب عن سؤال : كيف كان دور القائد الشهيد قاسم سليماني في الدفاع عن العمق الاستراتيجي للثورة الاسلامية في ايران ؟

من المعلوم ان القائد الشهيد قاسم سليماني كان ثوريا ومن الابناء الاوائل للثورة الاسلامية في ايران ، وهذا وان كان بديهيا الا ان التذكير به مهم ، لان هذه هي الهوية الحقيقية للقائد سليماني ، ومن تكون له هوية ثورية فهذا يعني انه جعل لنفسه اساسا ومنطلقا لاي دور واي تحرك واي مسار ، فليس الامر وليد اندماج طارئ مع ظاهرة ثورية او غيرها ، وانما الامر وليد محفزات ذاتية نابعة من قعر الوجدان وقائمة على البرهان والعرفان والقران والولاية ، وهذه هي احدى اهم كبريات مشاكلنا مع الشخصيات التي قد تنحرف ، وسبب ذلك انها لا تملك هوية ذاتية حقيقية ناشئة من محفزات خاصة ، وانما هي عرضت على الظاهرة الثورية او غيرها ، او انها انتسبت بالاصل لهذه الهوية الثورية الا انها لم تختمر فيها هذه الهوية اختمارا كاملا مشبعا ولم تكن منطلقاتها ذاتية من ناحية الشوق والتوق ، ولهذا انحرفت بعد حين او كادت ، اما الشهيد قاسم سليماني فقد اختمرت فيه هذه الهوية الثورية بتمام ابعاد الاختمار واستمرت واتصلت بالشهادة ، فتمت كامل عملية

الانتماء للهوية الثورية بنجاح ، وقد تسال لماذا تمت عملية الانتماء للهوية الثورية بنجاح ؟ والجواب او قريب من الجواب : هناك شخصيات تكون ثورية وعندما تنجح الثورة قد يكون امتحانها قبل انتصار الثورة امر سهل التجاوز ، ولكن وبعد انتصار الثورة قد تفقد ذوبانها بالثورة وتءوب بانجازات الثورة ، فلا يكون للثورة كاصل وكاساس وكمنبع اي بقاء في افق نفس هذه الشخصية ، ولهذا تراه ينغمس بمجريات انجازات الثورة وربما يسقط فيها ، وهناك شخصيات تبقى ناجحة قبل انتصار الثورة وبعد انتصار الثورة ، وقبل معاينة الانجازات وبعد معاينة الانجازات لان الثورة في افق نفسها ما زالت شجرتها قائمة ودائمة وثابتة وهي بحسب هذه الشخصية المصنع الذي ينتج الانجازات ، وينبغي الحفاظ على المصنع للنه ينتج دائما بينما تذا فقدنا المصنع الثوري بحسب هذه الشخصية قد تنتهي الانجازات وقد تتلاشى وقد تعيش المراوحة وفي هذا فشل ذريع ، والقائد الشهيد قاسم سليماني ابقى شجرة الثورة في افق نفسه وفي قعر وجدانه وبقي ذائبا فيها وكان يصنع الانجازات التابعة للثورة تلو الانجازات الا انها كان دائم التجرد عن الذوبان او الانغماس فيها ، وهذا هو اعظم سر من اسرار قدرة الشهيد قاسم سليماني على الحفاظ على الثورة الاسلامية وابقاء جذوتها وتراكم انجازاتها ونجاحاتها ، فما دامت الثورة باقية في دخيلة ووليجة قادة من امثال قاسم سليماني فإن عمق الثورة سيبقى ولن تتحول الى مجرد ظاهر ، واحسبه اعلى الله درجاته قد استفاد هذا الدرس العظيم من قدوته الامام امير المؤمنين عليه السلام الذي استطاع ابقاء العمق الاسلامي والخميرة الاسلامية الاصلية حاضرة لانه الاسلام الاصلي كان قائما بامير المؤمنين عليه السلام بعد ارتحال الرسول الاعظم صلى الله عليه واله وسلم .

يقول القائد الخامنئي حفظه الله في لقاء مع أهالي مدينة قم المقدسة بتاريخ ٢٠٢٠/٧/٨ حول هذه الهوية الثورية للقائد سليماني وإبقاء جذوتها : « نقطة مهمة أخرى هي أنه لم يكن في إطار القضايا الداخلية في البلد من أهل الأحزاب والأجنحة (السياسية) وما شاكل. تلك الأمور تتعلق غالباً بكفاحه ونشاطاته الإقليمية. لكنه كان ثورياً بشدة. الثّورة والنزعة الثورية خطه الأحمر الحاسم. فلا يحاولنّ أيّ كان صرف الأنظار عن هذا الأمر. هذا هو واقعه. كان ذائباً في الثّورة. والنزعة الثورية خطه الأحمر. لم يكن مهتماً بعوالم التقسيمات إلى أحزاب متنوعة وأسماء مختلفة وفئات وتيارات شتى وما شابه. أما في ما يخص عالم النزعة الثورية ، فنعم يهتمّ. كان ملتزماً بالثّورة أشدّ الالتزام، ملتزماً بالخطّ المبارك النوراني للإمام الخميني الراحل (رض) « . لاحظوا هذا الكلام من قائد يعرف احد ابرز جنوده المخلصين ! لقد كان الشهيد قاسم سليماني يعتبر ان الثورة الاسلامية هي سماء كل العكوس والمرايا في الداخل ، وكان تدخله مشروطا ومنوطا بسلامة الثورة وديمومتها وعدم ذلك ، اي انه لم يغادر الثورة ولو للحظة مهما كانت الخطوب الداخلية جليلة ومهمة طالما ان الثورة ستبقى سليمة ، وكان مخياله العام لا يتصور الا الثورة ومؤسسها الراحل وقائدها الحالي ، ولسان حاله العملي ولسان حراسته الفعلي للثورة : فليحصل ما يشاء فما يهمني ان تكون الثورة محروسة وقائدها بخير . وما ذلك الا لان الثورة ان كانت محفوظة ومحروسة وقائدها بخير فإن كل شيء سيكون على ما يرام . ولا تستغربوا اذا عرفتم ان كل ما يريده على المستوى الشخصي هو الشهادة في سبيل الله عبر بوابة الجهاد في سبيل الله الذي كان يخوض غماره غير آبه بأي شيء قد يطرأ عليه جراء هذا التواجد المكثف في الجبهات ، يقول السيد القائد حفظه الله في وصفه في احد اللقاءات : " فطوبى له ، طوبى له ، طوبى له ! لقد حقّق أمنيته . كان لديه أمنية . وكان يبكي من أجل أن يستشهد .

فقد رحل العديد من رفاقه وكان مفجوعاً بهم ، لكن لديه شوق شديد للاستشهاد إلى حدٍّ يجعله يذرف الدموع. لقد حقّق أمنيته . أتمنى – إن شاء الله – أن تحقّقوا أمنياتكم أيضاً، وأن نحقّق أمنيتنا أيضاً، وأسأل الله تعالى أن يعوّضكم عن هذا الفقدان " . ان دور القائد الشهيد قاسم سليماني الناجح والمميز في حفظ العمق الاستراتيجي للثورة الاسلامية وتراكم انجازاتها مرده الى عدة عوامل منها:

- **شخصيته الذاتية** ، شخصيته التي اشتملت على الاخلاص والصدق والعشق للجهاد والشهادة والشجاعة وباقي الصفات الهدارة ،

ومنها : الثابتة الثورية التي لا تتبدل ولا تتغير كما اسلفنا . ومنها : الجهد المضاعف والمكثف الذي كان ياخذ منه كل جهد ، ودليله التواجد في الاستحقاقات التفصيلية وليس فقط في الاستحقاقات الاجمالية .

ومنها : اعتباره عالم الجهاد وساحة القتال ساحة واحدة تتخطى جغراقيا وديمغرافيا ايران ، فتواجده الشخصي والمباشر في حرب تموز بلبنان عام ٢٠٠٦ ميلادي ضد الصهاينة كان مدهشا ومذهلا للاصدقاء والاعداء ، ونحن في لبنان فوجئنا جدا وانهمرت دموعنا عندما علمنا انه كان متواجدا .

ومنها : تجرده من كل المكتسبات الثورة المادية وذوبانه بمعنوياتها وروحانياتها ووضع نفسه بمثابة الجندي المخلص ، وقد اوصى بان تكون لوحة قبره الشريف بهذا المضمون ، واحسبه انه كان لديه تصورا تاما لقبره .

ومنها : العيش اللحظوي في الجبهات والميادين ، فكان يعرف سر هؤلاء الرجال الذين كان يعيش معهم بحيث انه اذا غادر الى مكان اخر من سوح الجهاد كان يدرك تماما ما يمكن ان يقدمه هؤلاء الذين غادرهم ، وهذا امر مهم جدا جدا بالنسبة للقائد ونجاحه في القيادة .

ومنها : ان جميع من تعامل معه بالداخل والخارج كان يعرف مدى شدته وعدم تهاونه بكل ما يخص حراسة الثورة او احتمال الاذية لها ، ولهذا كانت الثورة في مأمن .

ومنها : شبكه وحبكه للعلاقات مع الشعوب اكثر منها مع الانظمة ، فكانت علاقته مع شعوب المناطق التي يزورها هي التي تجعله ناجحا مع قادتها ورموزها وحكوماتها .

ومنها : مراعاة الجانب العلمي التخصصي في مفاربة الصراع مع الاعداء وطرقه واساليبه والياته ووسائله .

ومنها : الخلطة المعنوية الروحية التي كان يضفيها مع الحركة المادية القتالية العسكرية ، بحيث ان هذا الامر ترك تاثيرا بالغا عند كل من اقترب منه ، فلا تجد شخصا الا ويقول : قال لي كذا . حدثني بكذا . اوصاني بكذا .

ومنها : عدم التمايز مع التميز ، فقد يكون الانسان متمايزا لكنه غير مميز ، لكن القائد الشهيد سليماني وبالرغم من تميزه الا انه لم يكن يتمايز عن احد .

ومنها : فهم الجغرافيا والديموغرافيا جيدا ، وكلما نعلم بأن فهم الجغرافيا في الحروب التي خاضها الشهيد قاسم سليماني كان له الاثر البالغ في الحفاظ على العمق الاستراتيجي للثورة الاسلامية ، وقد عانى حتى رموز الصحافة من موضوع الجغرافيا ، حتى ان احد رموز الصحافة والتحليل السياسي قال لي شخصيا ذات مرة : انا كل مشكلتي مع الجغرافيا .

ومنها : اختيار الاسلحة المناسبة كما ونوعا وهذا بديهي لكونه قائدا عسكريا .

ومنها : الوقوف على الاحداث قبل وقوعها بدلالة منها وليس امرا تنبؤيا والعياذ بالله ، وقد نقل عنه انه كان يعرف بأن الامريكي والخليجي متجه الى انشاء منظمة دينية تكفيرية في المنطقة قبل تكوين داعش وهذا ما حصل ، واكرر هذه الميزة ليست وليدة تنبؤ غيبي وانما وليدة فهم الملابسات والخطط الاستكبارية وطبيعة الجغرافيا والديمغرافيا .

ومنها : القدرة الهدارة على فك الحصارات ، وقد شهد الكثير من المحاصرين كيف استطاع فك الحصار عنهم بفضل الله ومنه .

ومنها : التعاطي مع المجاهدين وسكان المناطق المختلفة بعناوين اعتزازية ، اي انه كان يشيد بهم وببطولاتهم وصمودهم .

ومنها : انتخاب القادة الميدانيين الذين يشبهونه في الاخلاص والذكاء والجد والمثابرة .

ومنها : هدفية الجهاد ، فلم يكن يتحرك في اي عمل ما وبأي مستوى كان من دون هدف وهو مرضاة الله المتعال . ومنها : اخلاصه لقائده الامام الخامنئي الذي يشيد فيه دوما ، ويعتبر الجمهورية الاسلامية في ايران محروسة طالما ان قائدها هو الامام الخامنئي . ان الشهيد القائد قاسم سليماني استطاع ايصال عمق الثورة الاسلامية المباركة في ايران الى عمق وجدان الشعوب الطامحة الى التحرر ، واستطاع على مدار عمره المبارك ان يرسي استراتيجيات الجمهورية الاسلامية في مراسي النجاح وما على الذين اتوا بعده الا متابعة المسيرة لمراكمة النجاحات المستدامة حتى ظهور الامام المهدي عجل الله فرجه الشريف.